

أضواء البيان

. @ 198

ولذا جاء عقبها قوله : { وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } . .

أي بعد الموت والبعث . فكأنه يقول لهم : هو الذي خلقكم وخلق لكم آيات قدرته على بعثكم ، من ذلك خلق السماوات والأرض ، ومن ذلك خلقكم وتصويركم في أحسن تقويم ، فكأن موجب ذلك الإيمان بقدرته تعالى على بعثكم بعد الموت ، وبالتالي إيمانكم بما بعد البعث ، من حساب جزاء وجنة ونار ، ولكن فمنكم كافر ومنكم مؤمن . .

وقد جاء بعد ذكر الأمم قبلهم : وبيان أحوالهم جاء تفنيد زعم الكفار بالبعث والإقسام على وقوعه في قوله تعالى { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا } قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبِّيَنَّكُمْ بِهِمْ أَعْمِلُوا فَمَن تَدْعُونَ ذَٰلِكَ عِلْمُ اللَّهِ يَسِيرُ } . لأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ، ويشهد لهذا التوجيه في قوله تعالى في سورة الإنسان : { هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا } إِنَّ زَاٰ خَلَقْنَاهُ الْإِنسَانُ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } إِنَّ زَاٰ هَدَىٰ نَاهُ السَّبِيلَ - إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } . .

فقوله تعالى : { إِنَّ زَاٰ خَلَقْنَاهُ الْإِنسَانُ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } كقوله تعالى : { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ } . .

ثم قال : { فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } وهما حاستا الإدراك والتأمل ، فقال : { إِنَّ زَاٰ هَدَىٰ نَاهُ السَّبِيلَ } مع استعدادده للقبول والرفض . .

وقوله : { إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } مثل قوله هنا : { فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ } أي بعد التأمل والنظر وهداية السبيل بالوحي ، ولذا جاء في هذا السياق من هذه السورة : { فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ } . .

وبكل ما تقدم في الجملة يظهر لنا أن □ خلق الإنسان من نطفة ثم جعل له سمعاً وبصراً ونصب الأدلة على وجوده وقدرته على بعث الموتى ، ومن ثم مجازاتهم على أعمالهم وأرسل إليه رسله وهداه النجدين ، ثم هو بعد ذلك إما شاكراً وإما كفوراً ولو احتج إنسان في الدنيا بالقدر لقليل له : هل عندك علم بما سبق في علم □ عليك ، أم أن □ أمرك ونهاك وبين لك الطريق .

